المملكة المغربية
جامعة السلطان مولاي سليمان
كلية الآداب والعلوم الانسانية
بني ملال

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال

سنوية علمية محكمة تعنى بالآداب والعلوم الإنسانية

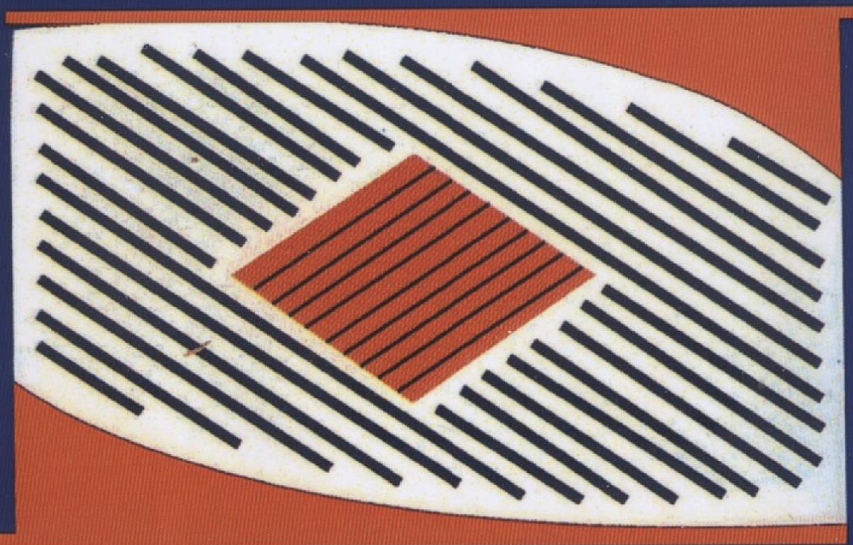

العدد 16 / 2015

ردمد ISSN 2458-6919

المملكة المغربية

جامعة السلطان مولاي سليمان

بني ملال

مجلة

كلية الآداب والعلوم الانسانية
ببني ملال

العدد السادس عشر / 2015

تأثير الأولياء في السكان:
أبو القاسم الصومعي ببني ملال

ذ. محمد حقي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بني ملال

إن الاهتمام بدراسة ظاهرة الأولياء لا يجب أن ينطلق من مبدإ الرغبة في إصدار أحكام حول مدى شرعية هذه الممارسة أو اتهام المتعاطين لها بالانحراف عن الدين القويم، ولكن من مبدإ الرغبة في فهم عقلية المجتمع الذي يمارسها وطبيعة تفكيره ونظرته إلى الأمور وكذلك معرفة الأدوار التي يقوم بها الأولياء أحياء وأمواتا وهو ما يؤدي مرة أخرى إلى الكشف عن طبيعة الذهنية السائدة. ويشكل هذا العمل المحور الأساس ضمن أبحاثنا عامة وضمن عمل فريق البحث الذي نديره؛ والمهتم أساسا بالتدين الشعبي الذي تشكل زيارة الأولياء جزءا من اهتماماته الواسعة، خاصة. وتعد معرفة هذا الجزء من حياة السكان أحد المفاتيح التي يمكن بها حل بعض المشاكل الاجتماعية الحالية والمساهمة في التنمية الاجتماعية. وقد كان حكام المغرب وحتى قادة الاستعمار الفرنسي واعين جيدا بهذا المعطى ووظفوه، لذلك احترموا في معاركهم الأضرحة وتجنبوا في الغالب قصفها في المعارك حتى إن الذاكرة الشعبية اعتبرت ذلك كرامة للأولياء، كما أعادوا بناء كثير منها واستقطبوا حفدتهم أو من يدعون ذلك وكرموهم بصكوك توقير واستعملوهم في التوسط بينهم وبين المعارضين والسكان عامة. لهذه القيمة الكبيرة والدور المهم جدا للأولياء اخترنا دراسة هذا الموضوع في أبحاثنا.

أتاحت هذه الندوة[1] فرصة التعامل مع أحد الوجوه القوية في المنطقة بقدم وجودها وقوة تأثيرها في حياتها وبعد مماتها وذلك منذ القرن 10هـ/ 16م وهو أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز بن شعيب الهروي الزمراني التادلي مولدا ومنشأ شيخ زاوية الصومعة ومؤسسها الحقيقي وموسع أفقها. وقد كان أحد رجالات العلم البارزين في المنطقة مما حول الزاوية إلى قبلة للطلبة الذين بلغت أعدادهم أرقاما محترمة (ما بين الثمانين والمائة حسب تصريحه)، كما كان أحد كبار أعلام التصوف من

1 - ندوة في موضوع **"دور الزوايا في التأطير الديني والمجتمعي: زاوية أبي القاسم الصومعي نموذجا"** يوم 2014/04/29، وكان موضوع التدخل: **"هل ما زال للصومعي تأثير في السكان؟"**

مدرسة محمد بن سليمان الجزولي مجدد الطريقة الشاذلية (الشيخ سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ـ الشيخ أحمد بن علي الدرعي ـ عبد الله بن ساسي ـ الشيخ أحمد بن موسى الجزولي)، فاستقطب المريدين لتعلم طريق التصوف والتعبد بالزاوية، كما اجتذبت الزاوية مجموعة من القبائل من محيطها القريب والبعيد وصارت تحضر متناوبة الموسم الذي تنظمه؛ حيث تقضي كل فرقة ثلاثة أيام في مكان الحفل، ومنها قبيلة الشاوية وأيت توتر وفرياطة وثماتة وأولاد علي وبني شكدال وإغرم العلام وأيت السموزي وأيت سيدي علي بن إبراهيم. وتحضر كل هذه الفرق ومعها الذبائح والهدايا والفرسان. وبعد موته، تحول قبره إلى مزار واستمر في استقطاب الجزء الكبير من الأتباع الذين كانوا يمجدونه في حياته، وصار الكل يبحث عن بركته ومساعدته ودعمه. فهل مازال الشيخ الصومعي يمارس هذا التأثير في الوقت الراهن؟

اعتمدنا في دراسة تأثير الولي أحمد بن أبي القاسم الصومعي في محيطه على جمع الروايات الشفوية والزيارات الميدانية إلى الضريح ومعاينة ما يقوم به الزوار من تصرفات أثناء الزيارة وبالتالي تعبئة استمارات خلال شتاء وربيع السنة الماضية (2013)، وقد بلغ عدد الاستمارات 112 استمارة همت 452 زائرا بمن فيهم المستجوبون والمرافقون لهم. وركزت الاستمارة على محاور تخص معرفة عامة بالزوار عمرا وجنسا وثقافة وموطنا، ومعرفة درجة الاعتماد على الولي (سبب الزيارة)، وتحديد درجة التمسك بطقوس الزيارة، ومدى الارتباط بالولي زمانا (مدة الزيارة) وعطاء (الهدايا) ومادة (آثار) والتزاما (نذور). وهذه هي المحاور التي سنطورها في تدخلنا هذا.

1ـ من هم زوار الضريح؟

1.1ـ التوزيع الجنسي والعمري للزوار

قمنا بتفريغ الاستمارات فنظمنا المعطيات الخاصة بالزوار في مجموعة من الجداول التي سنعرضها وفقا للموضوع الذي تهتم به، وسنبدأ بالتوزيع الجنسي والعمري.

جنس / فئات عمرية	الذكور		الإناث		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الصغار (10-20)	36	7.96	51	11.28	87	19.24
الشباب (20-40)	73	16.15	108	23.89	181	40.04
الكهول (40-60)	38	8.40	71	15.70	109	24.11
الشيوخ(ما فوق60)	23	5.08	52	11.50	75	16.59
المجموع	170	37.6	282	62.38	452	100

المبيان رقم (1): توزيع الزوار حسب الجنس والسن

يتضح من خلال الجدول أن العدد الإجمالي للزوار وصل إلى 452 زائرا بمن فيهم المستجوبون(112) والمرافقون لهم(340).

يعرف توزيع الزوار الجنسي تباينا واضحا، فالإناث يمثلن الأغلبية بمجموع 282 أنثى ونسبة 62.38%، بينما لا يتجاوز عدد الذكور 170 ذكرا بنسبة37.61%، وهو ما يعني أن الإناث تمثلن ثلثي الزوار، ويجد ذلك تفسيره في دور المرأة الكبير في الحفاظ على العادات والتقاليد وكونها ضحية للأمية المستشرية في المجتمع.

أما فيما يخص التوزيع العمري فقد قسمنا الزوار إلى أربع فئات وهي الصغار والشباب والكهول والشيوخ. ويلاحظ أن فئة الشباب (20-40 سنة) تهيمن على الزوار بالسيطرة على نسبة 40.04% منها 16.15% من الذكور و23.89% من الإناث، ويمكن تفسير ذلك بكون هذه الفئة مستقلة في تصرفها ومرتبطة أكثر بمشاكل الحياة ومسؤولة عن حلها وهي أيضا ما تزال بعيدة عن النضج والحكمة الضرورية للتعامل مع الحياة، وتليها فئة الكهول ب24.11%، منها 8.40% من الذكور و15.70% من الإناث، بينما يتساوى الصغار والشيوخ تقريبا بأقل من الخمس مع اختلاف السبب فالأوائل؛ وبالرغم من حضورهم القوي في الهرم العمري للمجتمع، فإنهم ما زالوا تابعين وعادة ما يحضرون كمرافقين، أما الأواخر فحضورهم في هرم السكان أصبح ضعيفا وهذا يجعل تمثيليتهم منطقية، لكن يمكن وبمنطق التمثيلية هذه أن نعتبرهم الفئة الأكثر زيارة للولي وهذا يفسر بمحافظتهم القوية على العادات القديمة التي مارسوها لفترة طويلة من عمرهم.

هكذا نستنتج أن الولي الصومعي يستقطب زوارا من الجنسين ومن كل الأعمار مع غلبة الإناث والشباب والكهول.

1-2- تكوين الزوار

وننتقل في الخطوة الثانية إلى توزيع الزوار ثقافيا باعتماد الجدول أسفله.

الجنس / مستوى ثقافي	الذكور		الاناث		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الأمي	9	8.03	40	35.71	49	43.75
القراءة	8	7.4	16	14.28	24	21.42
الابتدائي	7	6.25	15	13.39	22	19.64
الإعدادي	3	2.67	5	4.46	8	7.14
الثانوي	2	1.78	4	3.57	6	5.35
الجامعي	1	089	2	1.78	3	2.67
المجموع	30	26.78	82	73.21	112	100

الجدول رقم (2) : توزيع الزوار حسب مستوياتهم الثقافية

يلاحظ أن كل مستويات التكوين حاضرة ضمن الزوار، لكن تمثيليتها متباينة فالأميون يمثلون أكثر من الخُمسين (43.75%) للإناث منها 80% والباقي للذكور، بينما لا يمثل الجامعيون إلا أقل من 3%، وإذا جمعنا كل الزوار الذين تلقوا تكوينا أقل من التعليم الثانوي (هم أقرب للأميين بحكم واقع التعليم في البلد) نجد أنهم يمثلون 91% مما يعني أن تسعة أعشار الزوار هم من الأميين وأشباههم وللنساء منهم أكثر من الثلثين. وبذلك يمكن أن نستنتج أن هناك علاقة طردية بين مستوى التعليم وزيارة الولي، فكلما زاد المستوى قلت الزيارة وكلما قل زادت.

خلاصة القول، إن هناك هيمنة للزوار الأميين أو أشباههم مع غلبة للنساء ووجود علاقة طردية بين الزيارة والمستوى التعليمي.

1-3- مهن الزوار

وتركز الخطوة الثالثة على مهن الزوار كما يعرضها الجدول الموالي.

رقم ترتيبي	الجنس / المهنة	الذكور		إناث		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%
01	ربة بيت	-	-	43	38.39	43	38.39
02	لاشئ	6	4.46	22	19.64	28	24.99
03	فلاح	5	4.46	-	-	5	4.46
04	مهاجر	3	2.67	4	3.57	7	6.25
05	عامل	1	0.89	-	-	1	0.89
06	تاجر	7	6.25	2	1.78	9	8.03
07	نجار	1	0.89	-	-	1	0.89
08	صباغ	1	0.89	-	-	1	0.89
09	سائق	2	1.78	-	-	2	1.78
10	مقاول	1	0.89	-	-	1	0.89
11	جزار	2	1.78	-	-	2	1.78
12	معلم	-	-	1	0.89	1	1.78
13	طالب	1	0.89	2	1.78	3	2.67
14	تلميذ			2	1.78	2	1.78
15	موظف عمومي	1	0.89	1	0.89	2	1.78
16	خياط	-	-	1	0.89	1	0.89
17	خادمة	-	-	1	0.89	1	0.89
18	حلاق	-	-	1	0.89	1	0.89
19	طباخ	-	-	1	0.89	1	0.89
19	المجموع	30	26.78	82	73.21	112	100

الجدول رقم(3): توزيع الزوار حسب المهنة

يلاحظ أن المهن الحاضرة تخص المهن الشعبية وخاصة الحرف، لكن العاطلين ومن في حكمهم (ربات البيوت) يشكلون الأغلبية الساحقة بـ63%، ويأتي بعدهم الحرفيون (نجار- صباغ- سائق- جزار- خياط- حلاق- خادمة- طباخ) بحوالي 9% تقريبا، ويأتي بعدهم التجار بـ8.03%، ويليهم العمال وخاصة العاملون في الخارج بـ7% تقريبا،

ويليهم الفلاحون ب4.5%، ويحضر المقاول والمعلم والتلميذ والطالب والموظف العمومي بنسبة ضعيفة تتراوح ما بين 0.89 و2.67% (حوالي 8%). وبذلك يمكننا القول إن الولي يستقطب زواره من العاطلين والحرفيين والتجار والعمال، أي ما يمكن تسميته بالفئات الشعبية في المجتمع، أو حماة الثقافة المتوارثة جيلا عن جيل.

1-4- مواطن الزوار

وتخص الخطوة الرابعة معرفة مواطن الزوار الأصلية.

الجنس / المواطن	الذكور		الإناث		المجموع	
	ع	%	ع	%	ع	%
بني ملال	4	3.57	5	4.46	9	8.03
سوق السبت	1	0.89	4	3.57	5	4.46
أولاد عياذ	1	0.89	1	0.89	2	1.78
العيايطة	1	0.89	3	2.67	4	3.67
أولاد بوبكر	1	0.89	3	2.67	4	3.67
القصر	2	1.78	5	4.46	7	6.25
أولاد رابح	-	-	2	1.78	2	1.78
أولاد سعيد	-	-	2	1.78	2	1.78
سيدي جابر	1	0.89	-	-	1	0.89
أولاد موسى	1	0.89	-	-	1	0.89
أولاد يوسف	-	-	2	1.78	2	1.78
تكزيرت	-	-	2	1.78	2	1.78
أولاد يعيش	1	0.89	2	1.78	3	2.67
الفقيه بنصالح	2	1.78	3	2.67	5	4.46
أولاد أمراح	1	0.89	2	1.76	3	2.67
سيدي عيسى	1	0.89	1	0.89	2	1.78
حد البرادية	-	-	1	0.89	1	0.89
الكوطمة	-	-	2	1.78	2	1.78
زيدوح	-	-	3	2.67	3	2.67

العين الزرقة	1	0.89	-	-	13	0.89
أولاد ايلول	-	-	3	2.67	3	2.67
كرازة	-	-	2	1.78	2	1.78
لعسارة	-	-	1	0.89	1	0.89
لمرابطة	1	0.89	2	1.78	3	2.67
إغرم العلام	-	-	3	2.67	3	2.67
أولاد بركات	2	1.78	1	0.89	3	2.67
تنوغة	-	-	2	1.78	2	1.78
البزازة	-	-	1	0.89	1	0.89
تادلة	2	1.78	3	2.67	5	4.46
أزيلال	2	1.78	-	-	2	1.78
واويزغت	-	-	1	0.89	1	0.89
فم الجمعة	-	-	1	0.89	1	0.89
أيت أعتاب	-	-	2	1.78	2	1.78
واد زم	-	-	1	0.89	1	0.89
بزو	-	-	1	0.89	1	0.89
القصيبة	1	0.89	-	-	1	0.89
أولاد ازمام	2	1.78	4	3.67	6	5.35
النكار	-	-	1	0.89	1	0.89
أولاد ركيعة	1	0.89	-	-	1	0.89
قلعة السراغنة	1	0.89	1	0.89	2	1.78
خنيفرة	-	-	2	1.78	2	1.78
الدار البيضاء	-	-	1	0.89	1	0.89
مراكش	1	0.89	1	0.89	2	1.78
الرباط	-	-	1	0.89	1	0.89
فاس	-	-	1	0.89	1	0.89
خريبكة	-	-	-	-	1	0.89

المبيان رقم(4): مواطن الزوار

يظهر من الجدول أن محيط إشعاع الولي مازال كبيرا إذ يغطي دائرة قطرها حوالي 300 كلم (المسافة إلى فاس أبعد مواطن الزوار)، في مثلث يمتد بين مراكش وفاس

والرباط أي وسط المغرب الأكثر حيوية ثقافيا عبر تاريخ البلاد. ويستقطب الزوار من أقاليم بني ملال والفقيه بن صالح وأزيلال وقلعة السراغنة وخريبكة وخنيفرة ومراكش والدار البيضاء والرباط وفاس، إلا أن الأغلبية الساحقة 84% تأتي من إقليمي بني ملال والفقيه بن صالح في حدود دائرة لا يتجاوز قطرها 50 كلم، بينما يساهم أزيلال بـ6.23% فقط وباقي الأقاليم بنسبة ضعيفة تتراوح ما بين 1.78 و0.89% (9.59%). وبذلك يمكن القول إن إشعاع الولي يبقى محليا ومتركزا في المناطق المحيطة بمدينة بني ملال مقر الضريح.

نستخلص في الأخير أن زوار الولي:

- هم من الجنسين ومن كل الأعمار مع هيمنة للإناث والشباب والكهول.

- يغلب عليهم الأميون وأشباههم من ذوي المستويات التعليمية المتدنية بحيث سجل وجود علاقة طردية بين الزيارة والمستوى التعليمي فكلما زاد الواحد نقص الثاني.

- من العاطلين والحرفيين والتجار والعمال أساسا، أي ما يمكن تسميته بالفئات الشعبية في المجتمع، أو حماة الثقافة الشعبية المتوارثة جيلا عن جيل.

- من سكان الإقليم المستقرين في المناطق المحيطة بمدينة بني ملال مقر الضريح.

2- درجة الاعتماد على الولي

سنعمل في هذه النقطة على توضيح الأسباب التي تدفع الناس لزيارة الضريح لتحديد درجة اعتمادهم عليه، ويساعد الجدول الموالي على تحديد أهم الأسباب التي تدعو للزيارة.

الجنس / أسباب الزيارة	الذكور		الإناث		المجموع	
	ع	%	ع	%	ع	%
التبرك	6	5.35	19	16.96	25	22.32
الانتساب	5	4.46	2	1.78	7	6.25
الاستشفاء	3	2.67	11	9.82	14	12.5

طلب الزواج	-	-	15	13.39	15	13.39
طلب الأولاد	-		5	4.6	5	4.46
طلب الرزق	2	1.78	6	5.35	8	7.14
طلب العمل	3	2.67	1	0.89	4	3.57
طلب الحظ	2	1.78	1	0.89	3	2.67
تعبد	1	0.89	5	4.46	6	5.35
الجد بة	-	-	2	1.78	2	1.78
سياحة	3	2.67	4	3.57	7	6.25
نذر	-	-	2	1.78	2	1.78
حب الاستطلاع	-	-	2	1.78	2	1.78
الحلم	-	-	2	1.78	2	1.78
رفض الكشف	5	4.46	4	3.57	9	8.03
المجموع	30	26.78	82	73.21	112	100

المبيان رقم (5) : أسباب الزيارة

يظهر الجدول تنوعا كبيرا في الأسباب التي تقود الزوار إلى الضريح بالرغم من أن عشرهم تقريبا رفض الإفصاح عن سبب زيارته. ويمكن تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات، مجموعة أولى محايدة ولا مبالية ساقتها سياحتها؛ كما صرحت، إلى الضريح لتتفرج على ما يحدث هناك وتمثل 8.03%، ويجب أن نحذر من هذا التصريح لأنه قد يكون بعيدا عن الحقيقة، لذلك فقد يدخل أصحابه ضمن الفئة التي رفضت التصريح بسبب زيارتها، ومجموعة ثانية جاءت لغرض ديني قصد التبرك والتعبد و"الجدبة" والوفاء بنذر سابق والاستجابة لنداء في الحلم وتأدية حق القرابة وتمثل 39.26%، مما قد يكشف مدى قوة الارتباط بين الطرفين والتمجيد الكبير الذي يحظى به منهم، ومجموعة ثالثة هرعت إلى الولي مستنجدة من مشاكل استعصى على الأحياء حلها وعلاجها واستنفذت كل الوسائل في ذلك فلم يبق إلا أهل الله؛ كما يقولون، وتمثل 43.73% من الزوار، وقد جاء هؤلاء يطلبون علاج أمراض مستعصية وإيجاد زوج لعانس وإعطاء أولاد لعاقر وتوفير عمل لعاطل وطرد نحس عن منحوس وتوسيع رزق مقتر. وكما يلاحظ فهؤلاء جاؤوا الولي يطلبون الصحة (علاج) والحياة (خصوبة: زواج- نسل) والرزق (عمل-حظ)، ويمكن تلخيص هذه العناصر في طلب الحفاظ على الوجود أو الحياة، وهذا أمر يستعصي على طاقة البشر ولا يحققه إلا الله مما يبرز المكان العالي الذي يضع فيه هؤلاء الولي وكذلك حالة اليأس التي صاروا عليها، فهم ينتظرون قوة خارقة تحل مشاكلهم ولا يملك هذه

القوة إلا الولي الصومعي وسيلتهم إلى الله، لقد عادوا بذاكراتهم إلى زمن الكرامات الخارقة. ويمكن أن نكتشف من هذا ثقة هؤلاء في قوة الولي الخارقة واعتمادهم عليه وتمجيدهم القوي له (40% تقريبا تحضر لذلك). وإذا كان نصف الزوار تقريبا من هذا الصنف فلا يمكن إلا أن نستنتج أن حضوره في نفوس وعقول هؤلاء قوي جدا.

3- الالتزام بطقوس الزيارة

يلاحظ من خلال الطقوس أن الزوار لم يعودوا يلتزمون كثيرا بالطقوس، فإذا استثنينا تقبيل القبر والطواف والدعاء التي يلتزم بها تقريبا خمس الزوار، فإن باقي الطقوس تعرف إقبالا ضعيفا جدا وفتورا واضحا، فإشعال الشمع (طقس رئيسي) لا يحظى إلا بـ6.98% وشرب الماء (طقس رئيسي) بـ3.69%، وصارت للنوم والاسترخاء مكانة كبيرة بـ18.47%، في حين ظهرت طقوس جديدة ارتبطت بالتغيرات العصرية؛ بالرغم من ضعفها، وهو أخذ الصور داخل الضريح، وضعفت طقوس أخرى مثل إحراق البخور ورش ماء الورد والاستحمام والجهر بالصلاة على النبي ولم تعد تمثل إلا أقل من 0.5%.

الجنس / طقوس الزيارة	الذكور		الانات		المجموع	
	ع	%	ع	%	ع	%
تقبيل	22	4.5	77	15.81	99	20.32
طواف	18	3.69	73	14.16	91	18.68
دعاء	27	5.54	74	15.19	101	20.73
صلاة	5	1.02	5	1.02	10	2.05
شرب الماء	4	0.82	14	2.87	18	3.69
اكل	5	1.02	2	0.41	7	1.43
نوم	2	0.41	15	3.08	17	3.49
اشعال الشمع	17	3.49	17	3.49	34	6.98
البخور	-	-	2	0.41	2	0.41
رش ماء الورد	-	-	1	0.20	1	0.20
البسملة والتصلية	1	0.20	-	-	-	0.20
الاستحمام بالعرصة	2	0.41	1	0.20	3	0.61

طاب دعاء اليواب	-	-	5	1.02	5	1.02
التمرغ	1	0.20	1	0.20	2	0.41
الاسترخاء	2	0.41	32	6.57	34	6.98
أخذ الصور	2	0.41	1	0.20	3	0.61
الحناء	4	0.82	7	1.43	11	2.25
الجلوس	27	0.82	12	2.46	39	8.00
البكاء	1	0.20	8	1.64	9	1.84
مجموع	140	28.74	347	71.25	487	60

الجدول رقم (6) : طقوس الزيارة

ويمكن أن نستنتج أن هناك تراجعا كبيرا في التمسك بطقوس الزيارة فلم نعد أمام ذلك الزائر الحريص لحد الهوس على معرفة كل تفاصيل طقوس الزيارة والعمل على تنفيذها بدقة متناهية ووفق ترتيب معروف ومتكرر مخافة أن لا يتحقق مراده أو يلحق الولي به أذى، لقد صار الكل يتصرف وفق ما يحلو له وما يساير هواه وما يستسهله. وهذا يكشف؛ دون شك، نوعا من الفتور في علاقة الزائر بالولي وكذلك تراجعا في ثقافة زيارة الأولياء.

4- الارتباط بالولي

سنعمل على قياس درجة الارتباط بالولي من خلال دراسة المدة الزمنية التي يقضيها الزائر إلى جواره أثناء الزيارة وسخائه اتجاه الولي من خلال الهدايا التي يحملها معه وتعلقه به من خلال الحرص على أخذ بعض آثاره إلى بيته وعائلته ومعارفه ثم العهود التي يقطعها للولي في حال تحقق مآربه ومدى التزامه بها.

1.4- زمان الزيارة

بالرغم من التشتت الذي تعرفه معطيات الجدول فيمكن أن نجد نظاما يجمعها، ففي البداية يمكن أن نستنتج أن مدة نصف اليوم صارت مهيمنة باحتكارها ل 47.32%، مما يعني أن نصف الزوار صاروا يبرمجون لقضاء نصف يوم في الضريح والعودة إلى مساكنهم متجنبين المبيت فيه، وكذلك كون العادة القديمة التي تقضي بقضاء ثلاثة أيام في الضريح قد تراجعت ولم تعد تخص إلا أقل من عشر الزوار، أما من يقضون أكثر منها

فصاروا قلة ولا يتجاوزون 4.23%. وبذلك يمكن أن نستنتج أن الزائر لم يعد يقضي مع وليه إلا وقتا قصيرا.

الجنس / المدة	الذكور		الإناث		المجموع	
	ع	%	ع	%	ع	%
أكثر من أسبوع	1	0.89	2	1.78	3	2.67
أسبوع	-	-	1	0.89	1	0.89
4 أيام	1	0.89	2	1.78	3	2.67
3 أيام	4	3.57	6	5.35	10	8.92
يوم أو يومان	2	1.78	3	2.67	5	4.46
نهار	4	3.57	16	14.28	20	17.85
اقل من4 س	2	1.78	9	8.03	11	9.82
نصف نهار	9	8.03	33	29.46	42	37.5
مدة غير محددة	7	6.25	10	8.92	17	15.17
مجموع	30	26.78	82	73.2	112	100

الجدول رقم(7) : مدة الزيارة

4-2- سخاء الزائر

يلاحظ أن الهدايا المقدمة متنوعة لكنها في مجملها بسيطة وقليلة القيمة ماديا، حيث نجد أن الشمع يسيطر على 53.57% منها، كما يلاحظ أن الذبائح اقتصرت على الدجاج وشاتين (16.06%)، بينما اختفت الذبائح الكبيرة المكونة. وتنقسم الهدايا بين تلك الخاصة بطقوس الزيارة مثل الشمع والبخور والبيض والدجاج والشياه (68.73%) وهي المهيمنة بأكثر من ثلثي الهدايا، وتلك التي تهم زينة الضريح وستره كالأغطية والحصر والسجاد (4.45%)، وتلك الخاصة بإطعام الزوار والفقراء والقيمين على الضريح من سكر وخبز وتمر وقمح (7.02%)، ثم النقود التي تمثل 6.25%.

الجنس / الهدايا	الذكور		الانات		المجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
الشموع	16	14.28	44	39.28	60	53.57
البخور	-	-	7	6.25	7	6.25
النقود	5	4.46	2	1.78	7	6.25
السكر	3	2.67	6	1.78	5	4.46
البيض	-	-	6	5.35	6	5.35
دجاج	4	3.35	12	10.71	16	14.28
قمح	-	-	1	0.89	1	0.89
خبز	-	-	1	0.89	1	0.89
تمر	-	-	2	1.78	2	1.78
شاة	1	0.89	1	0.89	2	1.78
سجادة	-	-	1	0.89	1	0.89
حصير	-	-	1	0.89	1	0.89
غطاء	1	0.89	2	1.78	3	2.67

المبيان رقم (8):الهدايا

بصفة عامة فسخاء الزائر تراجع كثيرا إذ إن أكثر من ثلثي الزوار لم يعودوا يسخون إلا بأشياء بسيطة جدا عبارة عن دريهمات قليلة أو شمعات أو طعام رخيص، وهذا يعتبر مؤشرا على تراجع الاعتقاد في الولي وقدرته.

4-3-أثر الولي

الجنس / أثر الولي	الذكور		الإناث		المجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
الماء	2	1.78	3	2.67	5	4.46
فواكه جافه	2	1.78	4	3.57	6	5.35
بخور	4	3.57	5	4.46	9	8.03
حلي	2	1.78	8	7.14	10	8.92

شموع	2	1.78	8	7.14	10	8.92
حناء	-	-	2	1.78	2	1.78
ند	3	2.67	2	1.78	5	4.46
تمر	4	3.57	7	6.25	11	9.82
دم	-	-	5	4.46	5	4.46
عدم اهتمام	10	8.92	38	33.92	48	42.85

الجدول رقم (9): أثر الولي

يتضح أن الحفاظ على اتصال مع الولي أو حمل بركته إلى البيت والأهل لم يعد موضوع إجماع الزوار ف42.85% لا تهتم بالأمر أو لا تفكر فيه بتاتا، كما يلاحظ أن الأشياء ذات الطابع المعنوي والرمزي من تراب قبر الولي (الحناء) والماء والبخور والشمع والند والدم ظلت مهيمنة على اهتمام الزوار 32.11% (36 زائرا)، بينما حظيت الأشياء ذات المنفعة المادية مثل الفواكه الجافة والحلي والتمر بإقبال الراغبين بنسبة 24.09%. وبذلك يلاحظ وبالرغم من تراجع الاهتمام بالأثر أن ثلاثة أخماس الراغبين فيه ركزوا على الأشياء التي تربطهم بقوة بالولي.

4-4- النذور

النذر هو عهد بين الزائر والولي يلتزم فيه الزائر للمزور بمقابل إن قضيت حاجته التي طلبها حين الزيارة، وعادة ما يكون سريا. وينقسم إلى نوعين:

- النذر المعنوي ويخص الأعمال التي يقوم بها الزائر للولي ردا للجميل كالترحم عليه والدعاء له والاعتراف بمكانته الصوفية وكراماته والدعاية له والمداومة على زيارته وغيرها من الأعمال المعنوية.

-النذر المادي ويخص الهدايا التي يتعهد صاحب النذر بإحضارها إن قضيت حاجته، وهي لا تختلف عموما عن الهدايا مع إمكانية الزيادة في قيمتها وكأنه تشجيع للولي على الإسراع في قضاء الحاجة فبدل الدجاجة يعد بشاة وبدل الشاة يعد بثور.

لكن أهمية الموضوع تكمن في مدى التزام المتعهدين بنذورهم، إذ قد يكون النذر ناتجا عن حالة الشطح والانفعال والحماس التي يكون عليها الزائر في الضريح

وبمجرد ما يهدأ ينسى هذه الأشياء أو يكتشف أنه لا يملك القدرة على تنفيذها. وقد تضمنت الاستمارة سؤالا في الموضوع أعطتنا الإجابات عنه الجدول الموالي.

الجنس / الالتزام	الذكور		الإناث		مجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
نعم	25	22.32	36	32.14	61	54.46
لا	20	17.85	14	12.05	34	30.35
أحيانا	6	5.35	11	9.82	17	15.17
المجموع	51	45.53	61	54.46	112	100

المبيان رقم (10) الالتزام بالنذر

يتبين جليا أن نصف الزوار تقريبا هم من يلتزمون بنذورهم (54.46%)، بينما الثلث تقريبا لا يلتزم بها أبدا (30.35%)، في حين يتأرجح الباقي بين التنفيذ أحيانا والإهمال أخرى. ولمعرفة السبب طرح سؤال حول الأثر الذي ينتج عن عدم الالتزام بالنذر، فجاءت الأجوبة كالتالي:

الجنس / الجزاء	الذكور		الإناث		المجموع	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%
عقاب	28	35.89	38	48.71	66	84.61
سماح	3	3.84	9	11.53	12	15.38
المجموع	31	39.74	47	60.25	78	100

المبيان رقم(11) جزاء المهمل للنذر

يتضح أن الأغلبية الساحقة (85% تقريبا) تقر بأن من لا يلتزم بنذره يتعرض لعقاب على شكل مصيبة أو جائحة تصيبه في نفسه أو أهله أو ماله، وأن الولي لا يتسامح أبدا في ذلك، أما الباقي فيعتقدون أن الوالي يتسامح ولا يعاقب على الإهمال. وهذا يظهر السلطة التي يتمتع بها الولي عند هذه الفئة التي تهتم بالنذر قولا أما فعلا فالنتيجة السابقة لا تؤكد ذلك.

يمكن في الأخير أن نقول إن ارتباط الزائر بالولي فقد كثيرا من قوته، فهو لم يعد يقضي في الضريح إلا وقتا قصيرا لا يتجاوز نصف اليوم متجنبا المبيت في أغلب الأحيان، فالشوق القديم والفراق الذي يتم بعيون دامعة لم يعد موجودا، إذ حل نوع من اللامبالاة في لقاء الطرفين، دون أن يمنع ذلك من استمرار فئة على العادة القديمة المتمثلة في قضاء ثلاث ليال كاملة بالضريح. ويظهر أيضا فتور الارتباط من خلال هدايا الزائر إذ إن أكثر من ثلثي الزوار لم يعودوا يسخون إلا بأشياء بسيطة جدا: دريهمات قليلة أو شمعات أو طعام رخيص، وهذا يعتبر مؤشرا على تراجع الاعتقاد في الولي وقُدرته. ويسير الإقبال على أثر الولي في نفس الاتجاه ففقط أقل من ثلاثة أخماس الزوار من يهتمون به مع أنهم ركزوا أكثر على الأشياء التي تربطهم بالولي. ونفس الشيء يقال عن الاهتمام بالنذر فإذا كان أغلب الزوار يقطعون وعودا للولي، فإن نصفهم فقط يلتزم به، أما الثلث فلا يلتزم به أبدا، والباقي يتصرف حسب هواه، لكن عندما سئلوا عن مصير من لا يلتزم بالنذر كانت الأغلبية الساحقة تؤكد أن الولي يعاقب من لا يلتزم كإشارة إلى سلطته القوية على النفوس، والباقي أكد على تسامحه وعفوه.

خاتمة

يستقطب ضريح الولي الصومعي زوارا تغلب عليهم النساء من الشباب والكهول من الأميين أو ذوي التكوين الضعيف ومن العاطلين والعمال والحرفيين من أبناء المجال المحيط به من إقليمي بني ملال والفقيه بن صالح، وهذا يبين ضيق الفئة التي ما تزال تقبل عليه لتشمل أساسا الفئات الشعبية التي ما تزال تمتح من الثقافة المتوارثة. ويزداد تراجع تأثير الولي وضوحا عندما نسجل أن الزوار صاروا أقل احتراما لطقوس الزيارة إذ صار كل واحد يفعل ما يحلو له ويسهل عليه دون العودة إلى العادات المعروفة والترتيب التقليدي، وأقل ارتباطا بالولي إذ يقضون بالضريح وقتا قصيرا لا يتجاوز نصف اليوم ويتجنبون المبيت فيه، كما أن هداياهم صارت هزيلة ورخيصة، وقل تمسكهم بحمل أثر الولي معهم، وضعف التزامهم بتنفيذ النذور بالرغم من إقرار أغلبيتهم بأن الولي يعاقب من لا يلتزم بها. وبالرغم من تراجع تأثير الولي فاستمرار هذه الفئة في الزيارة ووجود متحمسين وملتزمين بالطقوس داخلها وحضور أطفال ضمن الزوار والغايات الكبيرة التي يأتون لتحقيقها عنده يؤكد أن تأثير الولي مستمر على المدى المتوسط حتى ولو ظل في تراجع.